سلسلة ملح الحياة

١- صغيري الجميل

الطِّفل روحٌ جديدةٌ، تَحوم بجمالها ونقائها علىٰ الأُسرة؛ فتَملأ حياةَ الأبوين سعادةً ومرحًا، بل وتبدِّلُ تفكيرَهم وتخطيطَهم للمستقبل، ونظرتَهم للواقع والحياةِ كلِّها، وربَّما تُحِيلُها مِن رُكودٍ وروتينٍ إلىٰ حياة دافِقة بالحبِّ والحركة؛ حبُّهم فِطرةٌ، الأُنسُ بهم صِحَّة، مداعبتُهم سعادة تَسكن عروقك وذاكرتَك، كلماتهم ناقِصة الأحرف هي عَظيمةُ البلاغة في نفسك؛ ربَّما تُضحِكُك كما لم تَضْحك في عُمُرك، بل وتتحدَّث مثلَهم بأحرفٍ ناقِصة في زَهْوٍ وحبٍّ!

هذه النِّعمة التي وَهَبها اللهُ لبعض خَلْقِه، وحرَم منها بعضًا آخَرَ؛ لحِكمةٍ يَعلَمُها.. تستوجِبُ منك شُكرَ مولاك، شُكرًا بصوَرٍ متعدِّدة؛ منها حُسن تربيةِ هذا الطِّفل الذي منَحَك الله به سعادةً ورِسالةً وقِيمةً لحياتك، وامتدادًا لفِكرك وعُمُرك.

في ظِلِّ هذا الواقع المحمومِ الذي نَعيشُه الآنَ، والمُصاب بصَرَع محاربة الدِّين ممَّن يَعلم وممَّن يَجهل، تضاعفَتْ مَهمَّةُ الوالدينِ، فأصبح عليهم عبءٌ أعظمُ من ذي قَبْل، أنتما

وحدَكما الآن مسؤولان عن عقيدة طِفلِكما ونظرتِه للدِّين والخُلُقِ، وانعكاس هذا في سُلوكه، ربَّما كانت العائلةُ قديمًا والشَّارعُ والمدرسة عوامِلَ مساعدةً في التربية، أمَّا الآن فالشَّقيقانِ ربَّما لا يَجمعُهما مَنهَجٌ واحد، فانتبِهْ لكلِّ مَن سيضَع بَصمةً في عَقْل ابنِك، أنت وليُّه ومحاسَبٌ عليه.

سأُحاول في هذه السِّلسلة أن أضَع اقتراحاتٍ تُعين الوالدينِ علىٰ تَربية أولادهم تربيةً واعية تُنتج طِفلًا -علىٰ الأقلِّ- بفِطرةٍ سليمةٍ يُميِّز بها بينَ الخَبيث والطيِّب في حالة قِصَرِ عِلمِه عن ذلك، فتَهديه فِطرتُه.

وأوَّل ما سأقترحُ فِعْلَه مع الصَّغير هو أن نَملأ قلبَه بحبِّ الرسول ﷺ؛ فهو القائدُ الأوَّل ومَرجعُ كلِّ قدوة، وهو مَبعوث الرَّحمة، أسمَعك الآن تقول: كيف نملأ قلبَه بحبِّ الرسول؟! فهو صغيرٌ لا يدرِك سيرتَه!

أقول لك: هو صغير فِعلًا؛ وهذا هو المحَكُّ؛ فالصَّغير يَستقبل ويتأمَّلُ ويَقِلُّ جدَلُه وعِنادُه.

- مِن عُمْر سنتين يليقُ بالأبوينِ أن يَطلُبا مِن صغيرهما أن يَشرب بيَمينه، ثمَّ يتَّخِذا مِن هذه العادة مَدخلًا لغَرْس بُذور

حبِّ الرسول في قلْبِه، لا داعيَ لكثير كلامٍ، فقط أَتْبِع هذه العادة بعبارةٍ واحدة: لأنِّي أحبُّ رسولَ الله، وهو كان يَشربُ بيمينه.

- اطلُبْ منه أن يَنام علىٰ يمينه، ويضع كفَّه تحتَ خدِّه، وكرِّر العِبارة نفسَها، لا تأْمُرْه بالفعل لأنَّ ذلك سُنَّةٌ؛ فلَسْنا في مَوْضِع تأصيلٍ؛ بل اجعَلْه مقلِّدًا لك كمدخل لتَرْسيخ علَّةِ التقليد، وهي حبُّ الرسولِ صلواتُ ربِّي وسلامه عليه.

- نادِ ابنتك بـ (أم أبيك)، قبِّلْها بين عَينيها، مكرِّرًا نفس العِلَّة؛ لأنَّني أحبُّ رسولَ اللهِ، وهو كان يُنادي ابنتَه هكذا.

- اشترِ لأولادك هدايا بلا مُناسَبة، بسيطة جدًّا بما يناسِبك، وعندما تَشْعر بنشوة الهديَّة وفرْحَة قُربهم منك، قل لهم: فعلتُ هذا حُبًّا في رسول الله؛ لأنَّه كان يَقبَل الهديَّةَ ويحثُّ عليها.

- قِسْ علىٰ هذا كلَّ سُلوكٍ إيجابيٍّ تفعله معهم، اجعله نافذةً يُطِلُّ منها الطِّفلُ علىٰ رسول الله، وكما قال المنفلوطيُّ: (إنَّ الذي خلَق الشمسَ وأَوْدَعَها النورَ، والزُّهورَ وأَوْدَعها العِطرَ، والجسمَ وأودعه الرُّوح... قد خلَق القلبَ وأَوْدعه

الحبَّ)، فحتمًا ستَنمو بُذور التعلُّق بالرسول مِن خلال هذه المواقف، وسيتربَّىٰ بداخلهم مع كلِّ مشكلة تواجِهُهم هاتف:

- (ماذا كان يَفعل رسولُ الله في مِثل هذا؟).

فتكون خَلقْتَ لهم مرجعيَّةً؛ بل وفتحتَ أمامهم ملَكةَ القياس والاستنباط.

مِن هنا تكون قد جعَلْتَ رسول الله مَصدرًا لكلِّ خيرٍ وسعادة ومحبَّة في نفس ابنِك، قل لي بربِّك: كيف لا يحبُّه؟ ثمَّ قل لي: كيف إن أحبَّه أن يُغضبه؟ وكيف إن أغضبه ألَّا يعود ويسارع بالتوبة؟

لاحِقًا عندما يَنتقل الطِّفلُ لمرحلة السؤال والشكِّ والاستفسار، سيكون الطِّفلُ ترسَّختْ عنده ثوابتُ لا مساس بها، وستُعينه علىٰ مواجهة مشوِّهي العقيدة، كفانا اللهُ شرَّهم، كذلك ستكون خَلقْتَ له مرجعيَّةً يؤوب إليها إن اختلَطتْ عليه الأمورُ، وهي السُّنَّة.